الفصل الرابع

ثناؤه ﷺ على أرضه وشجره وسمائه

أولاً: تشبيهه ﷺ لأشجاره بأشجار الجنة

عندما تخاطب أناساً أجسادهم معك في الدنيا، لكن قلوبهم معلقة بثواب الآخرة، وأرواحهم وعقولهم تحلق بعيداً إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.. فإن أفضل وسيلة لترغيب أولئك بشيء، هو ربط ذلك الشيء بالجنة ولو بأمر بسيط جداً حتى لو كان ذلك من باب التشبيه، فكل ما يشبه الجنة سيكون حسناً وجميلاً ومحبوباً..

وقد كان من هدي النَّبي ﷺ في غرس حبّ المسجد الأقصى المبارك في أصحابه ربطه لهم بالجنة، وترغيبه لهم بقصده ومجاورته.. والذي يستمع إلى الحديث الذي سأورده هنا، لابد أنه سيتملكه شعور جارف ورغبة عارمة بالذهاب إلى الشام، ولو كان ذلك بدافع الفضول، كي يرى بأمِّ عينه ما وصفه النَّبي ﷺ من وصف لأشجار الشام، وتشبيهها بأشجار الجنة..

فعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: أفيها - يعني في الجنة - فاكهة؟ قال: "**نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى وهي تطابق الفردوس**". فقال: أي شجرة أرضنا تشبه؟ قال: "**وليس من شجر أرضك بشيء يشبهه، ولكن هل أتيت الشام؟**" قال: لا يا رسول الله. قال: "**فإنها تشبه شجرة بالشام يقال لها الجوزة تنبت على ساق واحدة، ثم ينتشر أعلاها**". قال:

فما عظم أصلها؟ قال: "**لو ركبت ناقتك لم تقطع أصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً**".. وذكر بقية الحديث»[(١)].

فهل من دعاية توازي تلك الدعاية لأرض الشام.. أرض بيت المقدس، يُثْني فيها رسول الله ﷺ على أرضها وسمائها وأهلها وحتى شجرها؟؟

وما بالنا اليوم، نتعامل مع بيت المقدس على أنه مكان عادي أو أقل قليلاً من العادي؟! في حين أن اليهود في دعايتهم التي يجتذبون من خلالها لفيفهم من أصقاع الأرض، يروِّجون (لأرض الميعاد) بكل الوسائل التي ترغبهم وتحثهم على الهجرة إليها، حتى وصل بهم الأمر إلى (تعليب) هواء الأرض المقدَّسة وبيعه بأغلى الأثمان!! ويكفي لأي مراقب أن يطلع على أدبيات (لصوص) الأرض المقدَّسة من بني صهيون المنتشرة في وكالات السياحة العالمية، التي تروِّج لأرضنا المغتصبة بربطها بالأنبياء (الذين كذَّبوهم وقتلوا منهم)!![(٢)]، وتصويرها على أنها بقعة من الجنة، كما أنهم يستخدمون لذلك أحدث التقنيات الإعلامية، تصويراً وطباعة ومؤثرات، ويرصدون لذلك ميزانيات ضخمة، لترسيخ صورة نمطية معينة (للقدس اليهودية) في كل المحافل، وعلى كل الأصعدة، ولأجل ذلك سيطروا على صناعة الأفلام في (هوليوود) لهذا الغرض، بل إنهم دخلوا على خط غسل أدمغة الأطفال من خلال (مدينة والت ديزني)، فقناة ديزني الفضائية الأميركية المختصة بالأطفال أطلقت نسختها

---

(١) الراوي: عتبة بن عبد السلمي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: **٣٧٢٩**، خلاصة الدرجة: [صحيح لغيره]. أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٨٣-١٨٤، والطبري في التفسير: ١٣/ ١٤٩، والطبراني في الكبير: ١٧/ ١٢٦-١٢٧، برقم ٣١٢، والأوسط: رقم ٤٠٤، وابن عبد البر في التمهيد: ٣/ ٣٢٠، ٣٢١، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٤١-٣٤٢، والبيهقي في البعث: ٣٧٤، وابن حبان كما في الموارد: ٢٦٢٦، ٢٦٢٧، وأبو النعيم في صفة الجنة: برقم ٣٤٦.

(٢) تتخذ وكالة (إسرائيل الأرض المقدَّسة للسياحة والسفر) شعاراً لها بعنوان: (المشي مع الأنبياء).

(الإسرائيلية) مصحوبة بترجمة عبرية إلى جانب برامج (إسرائيلية) الأصل، تضم أطقم عمل (إسرائيلية)، بحسب وكالة الأنباء اليهودية التي تبث بالإنجليزية من نيويورك، وكانت مدينة (ديزني لاند) الأميركية قد أثارت الجدل عام ١٩٩٩م بإطلاقها معرضاً بعنوان: «القدس عاصمة (إسرائيل)»، ولذلك قصة لا بد من الإشارة إليها لأخذ العبر!!.

«فقبل نهاية القرن الماضي أبى القائمون على أمر (عالم ديزني) إلا أن يعلنوا عن انحيازهم وولائهم لـ (اللوبي الهوليودي اليهودي)، فأتى مندوب عن (ديزني لاند) إلى (إسرائيل) في آب/ أغسطس ١٩٩٩م يقترح عليهم إنشاء قسم خاص من معرض عالم ديزني للألفية الثالثة تحت عنوان (القدس عاصمة إسرائيل). وأبلغهم أن ديزني ستتكفل بـ ٦ ملايين ومئتي ألف دولار من تكاليف الجناح المذكور، وسيتم تصميم المعرض بحيث يمر أي زائر به بالجناح الإسرائيلي. وبالفعل، وافقت الحكومة (الإسرائيلية) على هذا العرض المغري وصمّمت جناحها بحيث تبدو ممراته كشوارع القدس القديمة، مع وضع شمعدان يهودي على مدخل الجناح، إضافة إلى عرض فيلم ضخم يضم التاريخ اليهودي في المدينة (لم يتصل هذا التاريخ أكثر من سبعين عاماً)، ويتجاهل التاريخين المسيحي والإسلامي. وبعد اعتراضات من جانب المنظمات الأمريكية الإسلامية العربية، وتهديدات بمقاطعة كل إنتاج (ديزني) من جانب الدول العربية والإسلامية وافقت ديزني على حذف عبارة (القدس عاصمة إسرائيل) مع بقاء محتوى الجناح كما هو دون تغيير. وفي حين رأت الجامعة العربية أن هذا إيجابي، وأعلنت أنها لن تقاطع منتجات ديزني، صرَّح سفير (إسرائيل) في واشنطن تعليقًا على قرار ديزني بقوله: لقد انتصرت (إسرائيل)»[1]!!

هنا تبرز أهمية تداول حديث رسولنا الكريم ﷺ، الذي يوجهنا لمنهج مهم جداً في التعامل مع الأرض المباركة، إنها -إضافة إلى بقاع أخرى محددة-

(١) مقال بعنوان: ديزني... التضليل بالتسلية!!، خالد البري - تشرين الأول/ أكتوبر/ ٢٠٠٠، موقع الإسلام أون لاين. (بتصرف).

تختص بمزايا فريدة، يحسن بكل مسلم أن يتلمسها ويستشعرها وهو يتعامل مع تلك الأرض.

إضاءة: كان من هدي النَّبي ﷺ تحبيبه لأرض بيت المقدس وسمائها وأهلها بل وحتى شجرها لأصحابه الذي شبهه لهم بأشجار الجنة ترغيباً لهم وتحبيباً.

ثانياً: حفظه بالملائكة

قد تعجبك أرض لاعتدال طقسها ومناخها وكثرة أشجارها وطيورها ووفرة مائها وعيونها وأنهارها، فتتوق نفسك إلى سكناها والاستقرار بها.. فإذا علمت بأنها مقصد الملائكة المطهرين، ومحل عنايتهم ورعايتهم، وإن لم ترهم يحيطون بها ويبسطون أجنحتهم حولها، فكيف سيكون شعورك بعد أن تسمع عن ذلك من الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، وهو يشوِّق أصحابه ويعلِّق قلوبهم بتلك الأرض التي ليست إلا الأرض المقدَّسة المباركة؟! وهو ما نجده في تلك الصورة الجميلة الرائعة لتلك الأرض التي يصورها حديث زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**يا طوبى للشام! يا طوبى للشام! يا طوبى للشام!**"، قالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: "**تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام**"[(١)].

(١) الراوي: زيد بن ثابت، المحدث: الألباني، المصدر: فضائل الشَّام ودمشق، الصفحة أو الرقم: ١، خلاصة الدرجة: [صحيح]، وقد أخرجه الترمذي: برقم ٣٩٥٤، وأحمد في المسند: ٥/ ١٨٤، ٥/ ١٨٥، والحاكم: ٢/ ٢٢٩، والطبراني في الكبير: برقم ٤٩٣٣، ٤٩٣٤، ٤٩٣٥، وابن حبان موارد: ٢٣١١، إحسان: ٧٢٦٠، وأحمد في الفضائل: رقم ١٧٢٨، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٢/ ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٢، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٢/ ١٩١-١٩٢، رقم ١٢٥١٢، وقال المنذري في الترغيب ٤/ ٦٣: رواه ابن حبان في صحيحه، والطبراني بإسناد صحيح، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٦٠: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وجاء برواية:

«كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع، فقال رسول الله ﷺ: "**طوبى للشام**". فقلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: "**لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**"»(١).

وفي رواية:

عن زَيْد بْن ثَابِت قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْد رَسُول الله ﷺ، إِذْ قَالَ: "**طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ**". قُلْت: مَا بَال الشَّام؟ قَالَ: "**الْمَلائِكَة بَاسِطُو أَجْنِحَتهَا عَلَى الشَّام**"»(٢).

إنها مفاجأة سارة فاجأهم بها رسول الله ﷺ بينما هم جلوس عنده!

إذ إنه قال فجأة: طوبى للشام، وهو دعاء لها وثناء عليها، دعاء يشبه في ألفاظه ذلك الذي ورد في الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ١٣/٢٩].. واستخدامه للفظ (طوبى) و(يا طوبى) لافت للنظر، فكيف إذا كرره مرات ثلاثاً؟؟

إنه يتوقع من أصحابه أن يسألوه عن سر ذلك، ليكون جوابه تلك الصورة العجيبة الرائعة التي تعطي إيحاءً بأنه يرى ملائكة الرحمن بأبهى صورة وهي باسطة أجنحتها على الأرض المقدَّسة حفاظاً عليها وعلى أهلها، وحراسة لها ولهم من الأذى والفتن، وإنزالاً للبركة والخير ودفعاً للشر والمهالك والمؤذيات عنهم.

إنهم لا يرون الملائكة الكرام، ولكنه بهذا الأسلوب يجعلهم يرونها بقلوبهم ومخيلتهم، ويستشعرون حضور ذلك التجمع النوراني في سماء بيت المقدس

---

(١) الراوي: زيد بن ثابت، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: ٣٩٥٤، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٢) رواه أحمد على شرط مسلم.

وإن لم يروه. تلك السماء التي شرفها الله بمعراج حبيبهم ﷺ صحبة الروح القدس.. فلا عجب أن ملائكة الرحمن اتخذوا ممره إلى السماوات العلا مأوى ومقراً لهم.

والتعبير الذي جاء في الحديث الشريف يعطي انطباعاً كبيراً بأن ملائكة الرحمن هنا لا يمرون مروراً عابراً في سماء الشَّام فهم: (باسطو) الأجنحة بما يوحي بالبقاء والمكث بشكل دائم، ليبقى الحفظ والحماية والرعاية والبركة لبيت المقدس وأكنافه على مدى الزمان.

هل نحن بحاجة إلى المزيد والمزيد من الشرح لتفسير حديث رسول الله ﷺ عن ملائكة الشام؟

سوف تجدون ذلك على مرمى عدة أسطر من هذا الحديث، وذلك في قوله ﷺ: "**فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله**"!!

إضاءة: كان من الهدي النبوي الثناء على بيت المقدس بأن سماءها التي شهدت معراجه إلى السماوات العلا مزدانة بجموع الملائكة المطهرين بشكل دائم، وهو ما يوحي بمكانتها عند أهل السماء لتترسَّخ مكانتها عند مؤمني أهل الأرض.

obeikandl.com